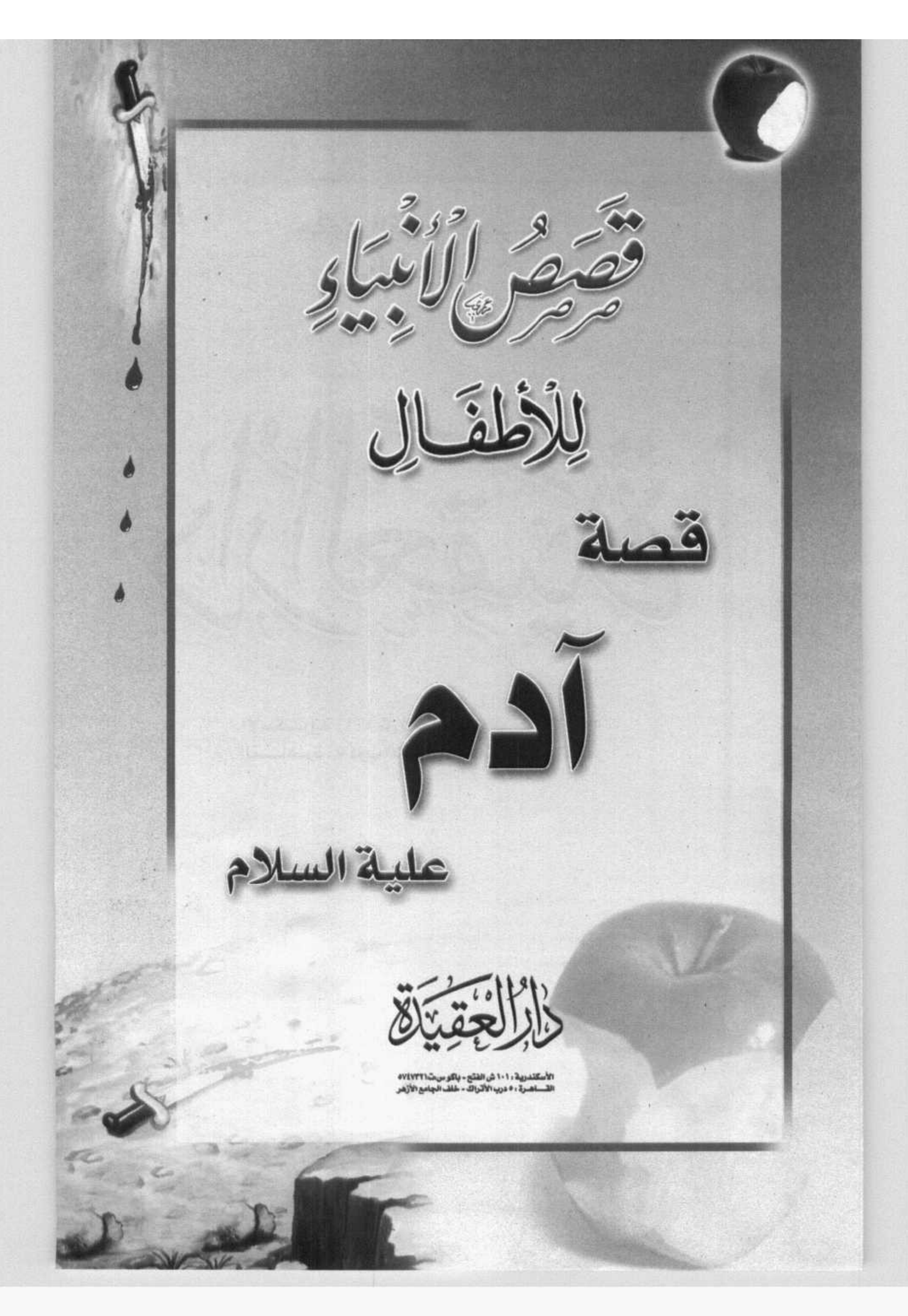
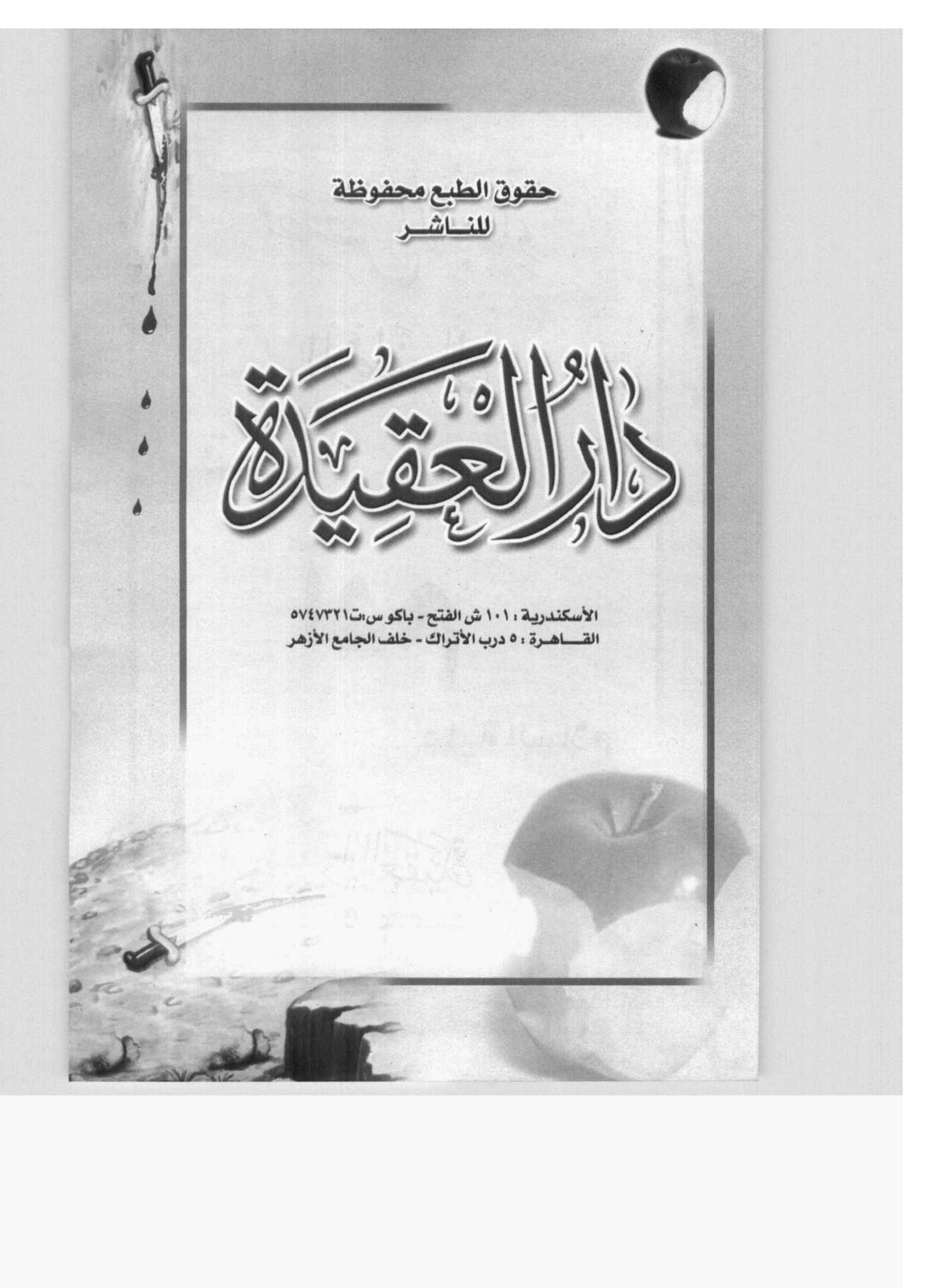

قَصَصُ الأَنبِيَاءِ
لِلأَطفَالِ
قصة
آدم
علية السلام
دار العقيدة
الأسكندرية : ١٠١ ش الفتح - باكوس ت ٥٧٤٧٣٢١
القاهرة : ٥ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر



حقوق الطبع محفوظة
للنـاشـر
دار العقيدة
الأسكندرية : ١٠١ ش الفتح - باكو س، ت ٥٧٤٧٣٢١
القـاهـرة : ٥ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

خلق جديد

فى زمنٍ قديمٍ .. قديمٍ لا يعلمُه إلا اللَّهُ سبحانَه وتَعَالى .. وفِى أعْلى مكانٍ فى السماء ، حيثُ عَرْشِ الرحْمنِ، ومن حَوْلَه الملائكةُ تَسَبِّحُ .. وتسَبِّحُ .. شاءَتْ إرادةُ الخَالقِ العظيمِ أن يَخْلُقَ آدمَ، إذْ قالَ سبحانه وتعالى للملائكةِ:

﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠].

لم تعارضِ الملائكةُ إرادةَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ، فهُمْ مطيعونَ، لا يَعْصُون اللَّهَ أبداً، ولكنهُمْ أرادوا أن يَعْلموا لمِاَذا خلَقَ اللَّهُ آدمَ !

فقالوا : يا ربَّنا وما هِىَ الْحكْمَةُ فى خلْقِ آخر غَيْرِنا يكونُ منهُمْ من يقْتلُ، ويُفْسِدُ، ويُضِلُّ عن الحقِّ ، ونحنُ نسبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُصَلِّى لَكَ، ولا نَعْرِفُ شيئاً غَيْرَ التسبيحِ، والصَّلاةِ .

فقال اللَّهُ تعالى للملائكةِ : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة٣٠].

إنَّ اللَّهَ يَعْلمُ أن ذرّيةَ آدمَ سيكونُ منهْا: الأنبياءُ، والصالحونَ والشهداءُ، والأولياءُ، والأبرارُ، والخاشعونَ، والعابدونَ، والمحبونَ للّه، ورسله، ويعلمُ أنَّ الإنسانَ قَدْ يعمَلُ الخيرَ، فيكونُ كالملائكة، أو أفْضَلَ منهم، وقدْ يعمَلُ الشَّر، فيكونُ كشياطينِ الْجنِّ، أوْ أَضلَّ.

البداية

أمَرَ اللَّهُ سبحانه وتعالى بعْضَ الملائكة أن يُحْضِروا أجزاءَ مِنْ طينِ الأرْضِ ، ثم سَّواه بِقُدْرته سبحانه وتعالى فى صُورةٍ كصورةِ البَشرِ.

ثُمَّ نفَخَ فيه من رُوحِه، فتحَّرك، ودَّبتْ فيه نَسْمَةُ الحياة، وكان أوّلَ الخَلْق ، أبو البشر جميعاً .. آدمُ عليهِ السَّلامُ.

هبَّ آدمُ واقِفاً على قدَميه، وهو لا يَدْرى شيئاً مِمّا حَوْله،



لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ آدمَ طِفْلاً صغيـراً يَنْمو، ويكبرُ، ويَتَعلَّمُ ببطْءٍ ككُلِّ الأطْفالِ .. ولكنه سبحانه سَوَّاهُ رَجُلاً كامِلاً .

نَظَرَ الملائِـكَةُ إلى آدَمَ وهيئتِـه، وقَال بَعْـضُهم فى نَفْـسهِ : يبـدو أنه لا يَعْرِفُ شَيئـاً مِمّـا نعرِفُـه نحنُ الملائِكَةُ .. إنَّنا أكْرَمُ مِنْه، وأعلَمُ منه ...

ثُمَّ أراد اللَّهُ أن يُبيِّنَ للملائِكَةِ الذينَ قالوا إنَّهمْ أكرمُ، وأعلمُ مِنْ آدَمَ غيـرَ ما كانوا يعـتقدونَ، فـقالَ لهُم: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة] .. وعيَّنَ لهم أشياءَ حَوْلَهُمْ

فـصمَتَ المـلائكةُ جمـيـعاً، ولم يَعْـرفوا جـواباً .. فعلْمُهم مـحدودٌ ، فقالوا : ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة].

علم الله آدم أسماء كل الأشياء ثم قال سُبحانه وتعالى لآدم: ﴿أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة]. وجد آدمُ نَفْسه يعلمُ أسماءَ كُلِّ الأشياءِ، فأخبرهم بها .. بَلْ أخبَرَ الملائكة بأسمائِهمْ أيضاً ..

إبليسُ اللّعينُ

أخذ الملائكةُ يسبّحونَ بحمد اللهِ العظيمِ الذى عنده علمُ كُلِّ شئٍ، والذى يعلمُ تسبيحهم، وصلواتِهم ، ويعلمُ أيضاً ما كانوا يُخْفُونه من سؤالِهِمْ عن خَلْقِ آدمَ عليهِ السَّلامُ، وأكثروا من التسبيحِ والصَّلاة .. عدا إبليسَ .. هو وحْدَه الذى تكَّبرَ، وعانَدَ، وراحَ يُقارِنُ بينه وبينَ آدمَ، ويقولُ فى نَفْسه : أنا أفْضَلُ من هذا الْمخلوقِ الجديدِ ، وأرفعُ منه مكانةً.

فلما جاءَ أمْرُ اللَّه للملائكة أنْ يسْجُدوا لآدم لبىَّ الجميعُ الأمْرَ الإلهىَّ على الفَوْر .. إلا إبليسَ وحْده أبَى أنْ يَسْجدَ لآدم، وعَصَى أمرَ اللَّه .. لعنةُ اللَّه عَلَيْه .. إنَّ اللَّهَ قادرٌ أن يَحْرِقَ إبْلِيسَ ، بَلْ أنْ يحوِّلَه فى لحْظة إلى عَدَمٍ، وكأنه لم يكُنْ .. ولكنَّ اللَّهَ الخَالِقَ العظيمَ الصَّبورَ الحليمَ أراد أن يُعْطِىَ إبْليسَ فُرْصَةً للطَّاعة، فقالَ سُبْحانه وتعالى له: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢].

إنَّ اللَّهَ سُبْحانه وتعالى برحْمَته أعْطى إبْليسَ فُرْصَةً أن يرْجِعَ عنْ عِصْيانه، ويسْجدَ معْتَذِراً كما سَجَدَ الملائكةُ .. ولكن إبْليسَ قال : كيفَ أسْجُدُ له، وهو مخلوقٌ من طينٍ، وأنا

مَخْلوقٌ من نارٍ ؟ والنَّارُ أفْضَلُ مِنَ الطَّينِ ؟

ضَلَّ إبْليسُ ضَلالاً بعيداً بهذا الكلامِ، .. فاللَّهُ هو الذى خَلَقَ النَّار، وهو الذى خَلق الطِّينَ، وهو وحده الذى يَعْلم من منْهُما أفْضَلُ.

لم تنفعِ الشيطانَ فُرْصة التوبة التى وهبها اللَّهُ له، ليرْجِعَ عَنْ ضَلاله، بل استمرَّ فى عناده، واستكباره .. لَقَدْ عَصَى أمرَ اللَّه ، وأمْرُ اللَّه لا يردُّ، ولا يراجَعُ، وأصرَّ على عِصْيانه، فاستحقَّ غَضَبَ اللَّهِ، وطُرِدَ من رحمته، وأحاطَتْ به اللعنةُ إلى يومِ الدِّينِ

فاتَتْ فرصةُ التوبةِ والتراجُعِ، وجاءَ أمْرُ اللَّه بطَرْدِ إبْليسَ.. وإبْليسُ يعلمُ أنَّ أمْرَ اللَّه إذا جَاءَ، فَلا يُردُّ أبداً.. إنه ذاهبٌ إلى النارِ .. لا شكَّ فى ذلك .. ولكنه لا يريدُ أن يدخلها وحْدَه، ويتركَ آدم وذريته ينْعَمُونَ فى الجنَّةِ .. فقالَ: أعْطِنى مُهْلَةً إلى يومِ القيامةِ.

قال سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[الحجر:٣٧-٣٨] .

وعده اللَّهُ سُبْحانه أنَّهُ سيمهِلهُ إلى يَوْمِ القيامةِ.. وَوَعْدُ اللَّهِ



حقٌّ فَعَرِفَ الشَّيْطانُ أنه باقٍ إلى يَوْمِ القِيامة .. فأطْلَقَ كُلَّ حِقْدِه وكراهيتِه لآدَمَ، وقَال بِصَوْتٍ بِغيضٍ خبيثٍ : أُقْسِمُ بعزتكَ يارب أنّي سأظَلُّ أُوَسْوِسُ لآدَمَ وذريته، حتّى أجعلَهم ينحرِفُونَ عن الطَّرِيقِ المسْتَقيمِ، سأزَيّنُ لهم المحرماتَ، وأمهِدُ لهم طريقَ الضلالِ، وأبعدهم عن الحقِّ، وأقربهم إلى الباطلِ حتَّى يكْفُروا جميعاً بنعمتك عليهم، إلا المخلصينَ منهم ، الذاكرينَ لك، والعابِدينَ والصالحين، فهؤلاءِ لا أقْدرُ عليهم .

قَالَ سُبْحانه وتعالى : ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص] .

ومنذُ تلْكَ اللحْظَةِ بدأ الصّراعُ بينَ آدمَ وذريته، والشَّيطانِ وذريتِه، وسيستمرُّ هذا الصراعُ، حتَّى تَقُومَ السّاعةُ .

الشجرةُ المحرمةُ

بَعْدَ أنْ خلَقَ اللَّهُ آدمَ ، خلقَ له زوجته حوّاءَ، وأسكنهما الجنَّةَ.. يعيشانِ فيها معاً .. يأكلانِ من ثمرِها .. ويشربانِ من أنهارِها .. وينعمانِ في ظِلالِها، ونسيمِها العَطِرِ .

لم يمنْع اللَّهُ سبحانه وتعالى شيئاً من خَيْرات الجنَّةِ عنهما ، إلا شجرةً واحدةً .. واحدةً فَقَطْ .. أمرهما سبحانه وتعالى ألا يقربانها ولا يأكلان منها .. وذلك لحكمةٍ لا يعلمها إلا هُوَ سبحانه وتعالى .

كان الشَّيطانُ يرى آدمَ وحوّاءَ سعيدينِ فى الجنَّةِ، ينعمانِ بخيْراتها، وثمارِها ، ويشكرانِ اللَّهَ، ويسبّحانه، ويَسْجُدان له: حَمْداً، وعِرْفاناً على عظيمِ نعمتهِ ، فيتطايرُ شَرَارُ الغَيْظِ، والحِقْدِ من عيْنَيهِ الخبيثَتَيْنِ .. فراحَ يبحثُ عن وسيلةٍ ماكرةٍ يستطيعُ بها أن يخرجهما مما هما فيه من النعيم، ويجعلهما يعصيانِ أمْرَ اللَّهِ سبحانه وتعالى، فلمْ يَجِدْ إلا تلْكَ الشَّجرةَ التى أمَرَ اللَّهُ آدَم وحوّاءَ ألايأكلانِ منها ، فأخذَ يوسْوِسُ لهما، ويدعوهما، ويزيِّنُ لهما ذلك .

ذهبَ الشَّيْطانُ إلى آدمَ وحوّاء، وقال لهما : إنّي أراكما سعيدَيْنِ مسرورَيْنِ .. أليسَ كذلك ؟

قالوا : بلى .. وهذا من فَضْلِ ربّنا علينا ..

قال: ولكن هناك شئ ينقصكما، حتَّى تكتملَ سعادَتُكما

اندهشَ آدمُ وحوّاءُ مِنْ هذا الكلامِ، وقالا: وما هو هذا الشئُ؟.

قالَ الشَّيْطانُ وهو يشيرُ إلى الشَّجرةِ المحرّمَةِ : هذه الشجرةُ.. لماذا لا تأكلانِ منها ؟

فقالا : لأنَّ اللَّهَ أمرنا ألا نَقْرَبَها .

قال الشَّيْطانُ بِخُبْثٍ، وكأنه صديقٌ ينصحهما : لِمَ لا تتذوقانِ واحدةً. . حبةً واحدةً فَقَطْ لن تضركما .

ولكن آدمَ وحوّاءَ رفضا أن يأكلا، وابتعدا عنه، فلحقهما الشَّيْطانُ، وهو يقول: هل تعلمان لماذا حرم اللَّه عليكما هذه الشجرة ؟

قالا: لا نَعْلَمُ . . ولكن اللَّهَ يفعلُ ما يشاءُ .

فقال الشَّيْطانُ كَاذِباً : حتى لا تُصْبِحا مَلَكَيْنِ، أو تكونا مِنَ الخَالِدينَ، فتعيشا معاً فى سعادةٍ، وسرورٍ إلى الأبدِ .

نَظَرَ آدمُ وحوّاءُ إلى الشَّيْطانِ نظرةَ شَكٍّ فيما يقولُ .

فقال الشَّيْطانُ بسرعةٍ : أُقْسِمُ بعِزَّةِ اللَّهِ وجَلالِهِ أنَّ ما أقولُه لكما صَحيحٌ.

أَقْسمَ الشيطانُ كَذِباً علـى اللَّهِ، حتَّى يجعلَ آدمَ وحوّاءَ يصدقانهِ ويعصيانِ أمْرَ اللَّهِ .

هيا نأكلُ منهـا .. صدَّقَ آدمُ وحوّاءُ كـلامَ الشَّيطانِ .. ونسيا أمْـرَ اللَّهِ .. واقْتربا مِنَ الشَّجـرةِ، وقطفَ كُلٌّ واحدٍ منهما ثمرةً من ثمارها وراحَ يأكلها ..

الخـروجُ مِنَ الجنَّـةِ

كانَ آدمُ وحـوّاءُ قبل أن يأكُلاَ من الشَّـجرةِ المحـرَّمةِ لا يعـرفانِ الجـوعَ، أو العَطشَ .. كـانا يأكلانِ، ويشـربانِ، للاستمـتاعِ فَقَطْ بثمارِ الجنةِ وأنهارِها ، وكـذلك لم يشعرا أبداً بالبرد، أو الحرِّ، أو الخَـوْفِ، أو الغضبِ، أو الخجلِ .. ولكنهما مـا أن أكَلا من الشجرة المحـرَّمة، حتَّى بدءا يشعُرانِ بكُلِّ هذه الأشياءِ ، فراحا يُغَطِّـيانِ جِسْميْهما بورقِ الشَّجرِ اتقاءاً للبـرْدِ، وخجلاً من بْعضهما ، وقـد أصابهما ندمٌ شديدٌ على عصيانِهما أمْرِ اللَّهِ، وطاعتِهما للشَّيْطانِ .

أمَّا إبْليسُ فَقَدْ كانَتْ سـعادته لا توصَفُ حيثُ وقفَ بعيداً

ينظرُ إليهما، وهو يضحَكُ عليهما ضحكةً ماكرةً .

بدأ آدمُ وحّواءُ يشعُرَانِ بشعورٍ لم يشعرا به من قَبْل، وهو الحُزْنُ الشديدُ على عصيان أمْرِ اللَّهِ، والخَوْفِ الشَّديدِ من عِقَابِه.. فاتَّجهَ آدمُ إلى اللَّهِ بقلبٍ نادمٍ على ما فعلَ ودعا اللَّهَ أن يتوبَ عليه، ويغفِرَ له هذهِ المعصيةَ .

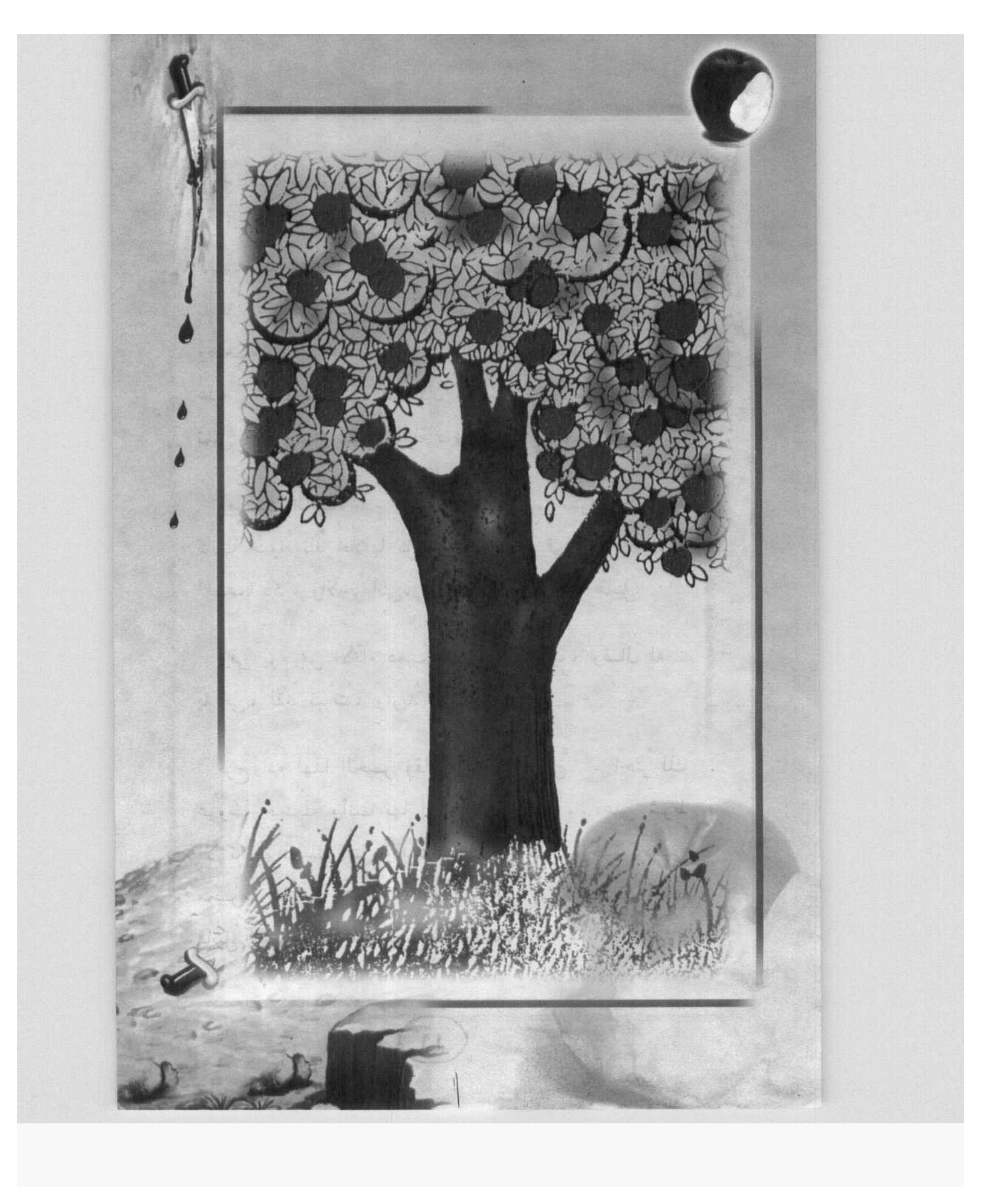
فقال اللَّهُ سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف] .

قال آدمُ وحّواءُ وهما يْبكيانِ ندماً وتضرُّعاً: يا ربُّنا، لقدْ أضلَّنا الشَّيطانُ، وصدقناه بعد أن أَقْسمَ لنا بعزَّتك، وجلالِكَ ..

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[الأعراف]

اعترفَ آدمُ وحّواءُ بذنبهما، وتَابا ورجَعا إلى اللَّهِ ، وعزَما ألا يعصِيَا أمْرَه بعْدَ ذلِكَ أبداً .. فَقَبِلَ اللَّهُ الغفورُ الرَّحيمُ توبتهما، وأمرهما جميعاً بالهُبوط مِنَ الجَنَّة إلى الأرْضِ ، وفى الأرْضِ بدأ الصِّراعُ و العَداءُ بينَ آدَم، وذريته، وإبْليسَ وذرِّيته.. هذا الصِّراعُ االذى سيستمرُّ بينهما إلى يَوْمِ القيامةِ .



اختلفتْ حيـاةُ آدمَ فى الأرْضِ عن حياتهِ، التى كانَ يعيـشُها فى الجنَّة . . فـالآنَ يجبُ عـليـه أن يعـملَ، ويزْرَعَ، ويرْعَى الغنمَ، حتَّى يسـتطيعَ أن يوفرَ طعامَه، وشـرابَه، وملبَسه، وأن يجعلَ له مأوىً يعـيشُ فيه هو وحَوّاءُ ، كانت الحيـاةُ قاسيةً، وصعـبةً . . إذا أرادَ شيئـاً يجبُ أن يشقَى، ويتْعَبُ، ليـحْصلَ عليه . . أمّا فى الجنَّة فقدْ كانَ كُلُّ شئٍ سهْلاً ميسُوراً . . إذا تمنَّى شيئاً حصلَ عليه بسهولةٍ دون مشقةٍ، أو تعبٍ .

ومـضَتِ الحيـاةُ بآدمَ وحَـواءَ على الأرْضِ سنواتٍ طويلةً ، كانتْ حَـواءُ تَلِدُ خلالها كُلَّ عام مـولودَيْنِ فى بَطْنٍ واحدةٍ ، أحدهما ذكرٌ، والآخرُ أنثى، وولدتْ لآدمَ قابيلَ، وهابيلَ .

وفى يومٍ من الأيّامِ ذهبَ هابيـلُ إلى أبيهِ، وقـالَ له : يا أبِى، لقَدْ كبرْتُ، وأريدُ أن أتزوَّجَ .

فرِحَ آدمُ لهذا الخبـرِ وقالَ : نَعَمْ يا بنىَّ . . اخترْ لك عَرُوساً جمـيلةً وأئت بها إلىّ، لأزوجكما . . على شرطِ ألا تكونَ أخْتكَ التى وُلِدتْ معك فى بطنٍ واحدة ، فهى محـرمةٌ عليك . . قال هابيلُ : يا أبِى إنى اخـترْتُ أخْتَ قابيلَ التى وُلِدَتْ معه فى بطنٍ واحدةٍ .

قال آدمُ : نعم الاختيارُ هو .. فهى طيبةٌ وجميلةٌ .. بَلْ هِىَ أجملُ البنات جميعاً .. هيّا اذهب إلى أخيكَ قابيَل، وائت به.

ذهبَ هابيلُ إلى قابيلَ والسعادةُ تغمره، وقالَ له بعد أن ألْقَى السلامَ عليه : يا أخِى، إن أبى يريدُكَ الآن، ليخبرك بخبرٍ هامٍ ..

كان قابيل يزرعُ أرْضَه، فتركَ عمله، والتفتَ إلى أخيه، وهو يقولُ : وما هو هذا الخبرُ ؟

قال هابيلٌ وهو يسيرُ إلى جانبِ أخيه فى طريقِهما إلى آدمَ: إننّى أريد أن أتزوج أخْتَكَ .. وأبى باركَ هذا الزواجَ، ويريدُ أن يخبركَ بذلك.

ما أن سمع قابيلُ ذلك الخبرَ، حتَّى ظهرتْ علاماتُ الغضبِ الشديدِ على وجْهِهِ، وصاحَ قائلاً :

ومَنْ قالَ لك: إنّىِ أوافقُ على هذا الزواجِ ..؟

إنَّها أجملُ من أخْتِكَ ، ولن أدعَ أحداً يتزوجُها غيرى !!

قال هابيلُ : ولكن يا أخى، إنَّها أختك التى وُلدِتْ معكَ

ومَنْ قالَ لك: إنّي أوافقُ على هذا الزواجِ ..؟

إنَّها أجملُ من أخْتِكَ ، ولن أدعَ أحداً يتزوجُها غيرى !!

قال هابيلُ : ولكن يا أخى، إنَّها أختك التى وُلدتْ معكَ فى بطنٍ واحدةٍ .. ألا تعلمُ أنَّ اللَّهَ حرَّم هذا الزواجَ ؟

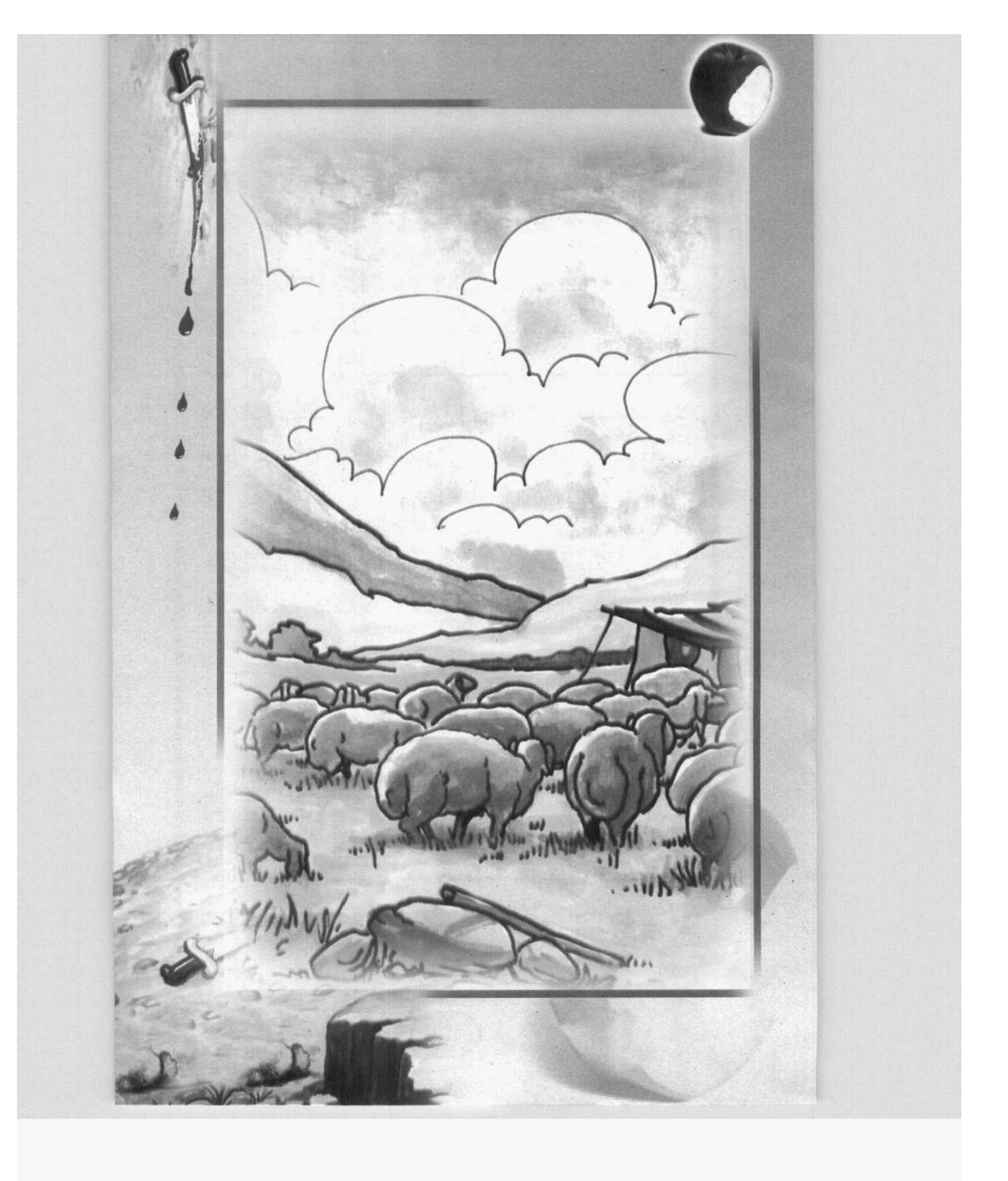
ولم يستمعْ قابيلُ إلى حديثِ هابيلَ، بَلْ اندفعَ غاضباً، حتَّى وصلا إلى أبيهما .

لمح آدمُ علاماتِ الشرِّ والغضبِ على وجْهِ قابيلَ، فقالَ له: مَا لى أراكَ غاضِباً هكذا يا قابيلُ .. ماذا حَدَثَ ؟

قال قابيلُ : إنَّ هابيلَ يريدُ أن يتزوَّجَ أخْتى ، وسمعتُ أنكَ وافقتَ على هذا الزواجِ ، وأنا لن أدعَ أحداً يتزوجُها غيرى .

قال آدمُ بدهشة : ولكنها أخْتُك من بطنٍ واحدةٍ، وهذا محرَّمٌ عليك!!

ولكن قابيلَ لَمْ يستمعْ إلى كلامِ أبيه ، وأصرَّ أن يعْصِىَ أمره فأمرهْم آدمُ أن يقدّما قُرْباناً، حتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ لهما الحقَّ مِنَ الباطلِ



السَّمـاء أكلتْ قُرْبانَ هابيَل، وتركَتْ قُرْبانَ قَابيلَ كـما هُو . . . وكان ذلكَ إشارةً مِنْ عند اللَّهِ أنه تقبَّل قُرْبانَ هابِيلَ .

ولكنَّ هذا لمَ يكُنْ كافياً، لإطفـاءِ غَضبِ قابيلَ، فقَدْ ملكه الشَّيطاُن، وسيَطر عَليه، وأنساه طاعـةَ اللَّهِ، كما أنساهُ من قَبْلُ طاعةَ أبيه . . فبدلاً من أن يهدأ غضبه، ويرضى بما قسمَهُ اللَّهُ له ازدادَ غـضبـاً، وراحَ يهـّددُ هابـيل قائلاً : سـأقْـتُلُكَ، ولا أدعَكَ تتزوجُـها . . ثُمَّ ذهبَ إلى أبيه، وصَاحَ : لَقَـدْ دعوْتُ له، ولمْ تَدْعُ لى ، ولذلك تقبَّل اللَّهُ قربانه، وتركَ قُرْبانى .

تركَ قابيلُ الشَّيْطانَ يتمكَّنُ منه، ويسْيطُر عليه دُونَ أن يُقاوِمه بذكْرِ اللَّهِ، أو بالصَّلاةِ . . فبيَّتَ فى نَفْسهِ قَتْلَ أخيهِ .

أوَّلُ قـاتـلٍ

وذاتَ ليلةٍ تأخَّـر هابيلُ عن العـودةِ، وكـان يـرْعَى الغنمَ ، فأرسلَ آدمُ قـابيلَ ليرى مـا الذى أخرَّ أخاه . . فـلما وصل إلى مكانِ هابيلَ وجدَه يجمعُ الغَنَم استعداداً للعْوْدَةِ . . فانْتهزَ فُرْصةَ وجودِهما وحدَهما بعيداً عن أبيهما، وصاحَ فى هابيل بحقْدٍ :

تقبَّل اللَّهُ منكَ قُرْبانكَ ولم يتقَّبلْ مِنّى .. فقالَ هابيلُ بصوتٍ هَادِئٍ طيّبٍ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة] . فازدادَ غضبُ قابيلَ، وصاحَ فى وجْهِهِ : سأقْتُلُكَ إن تزوَّجْتَ أخْتى !!

فردَّ عليه هابيلُ بإيمانٍ عميقٍ قائلاً: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة]

ولكنَّ الحقْدَ الأعمى كانَ قدْ تمكَّن من عقلِ قابيلَ وقَلْبه، فضربَ هابيلَ فقتله.

سقطَ هابيلُ على الأرضِ دَونَ أن يمدَّ يده لأخيه، حتَّى ليدُافعَ عن نَفْسه .. وسُرْعانَ ما لفظَ أنفاسَه الأخيرَة، وصعدَتْ روحه إلى السَّماءِ.

نظرَ قابيلُ إلى جثَّة أخيهِ الملْقَاةِ على الأرْضِ بلا حرَاكٍ دُونَ أن يدْرى ماذا يفْعلُ بها ؟ بينما إبْليسُ يضْحكُ ضحكته الشيطانيةَ .. لَقَدْ حقَّقَ غرضه الشريرَ، وتمَّتْ أوّلُ عمليّة قَتْلٍ فى التَّاريخِ .. عرفَ الإنسانُ لأوّلِ مرّةٍ كيفَ يقتُلُ أخاه ابن أمه، وأبيه .

ضحكته الشيطانيةَ .. لَقَدْ حقَّقَ غرضه الشريَر، وتمَّتْ أوّلُ عمليّـة قَتْلٍ فى التَّاريخِ .. عرفَ الإنسـانُ لأوّلِ مَرّةٍ كيفَ يقْتلُ أخاه ابن أمه، وأبيه .

جلسَ قـابيلُ بجانبِ جثَّةِ أخـيه، وهو لا يدْرى مـاذا يفْعلُ، لقدْ أدركَ بعد فَواتِ الأوانِ أنّه فعلَ فِعْلاً مِنْ أكبرِ الكبـائرِ، وأغْـضَبَ اللَّهَ، وأصْـبَحَ من الخَـاسـرينَ الذينَ مأواهم جَهَـنّم، وبئسَ المصيُر وراحَ يتلفَّتُ يمـيناً ويَساراً لا يدْرى ماذا يفعلُ بجثةِ أخيه ؟

ثُمَّ أخيراً حملَ الجثَّة، وراحَ يسـيرُ بها على غيرِ هُدى .. وإذا به يشـاهدُ غُرابين يتـعـاركانِ عـراكاً شَـديداً .. وكانَ أحـدُهما أقوى مِنَ الآخـرِ، فنقَرَ أخَاهُ نقْـرةً شديدةً سـقطَ على أثَرِها جثَّـةً هامـدةً .. فهـبطَ الغرابُ القـاتلُ بجوارِ جثَّـةِ المقْتُول، وراحَ ينقِبُ الأرْضَ بمخـالبِه، حتَّى حفَرَ حُفْـرةً واسعةً، ثُمَّ أنزلَ فيها جُثَّةَ الغُـرابِ المقْتُولِ، وأخذَ يهيلُ عليه التُّرابَ، حتَّى دفَنَه تَحْتَ الأرْضِ.

كان ما فعله هذا الغُرَابُ هو أمرٌ مِنَ اللَّهِ سبحانه وتعالى



يا ويلى من عـذابِ جهنَّم .. لَقـدْ عجـزتُ أن أدفنَ جُثَّـةَ أخيِ مِثْلما فعلَ هذا الطائر ، وراحَ ينْتَحِبُ ندماً على مافعلَ .

حَـزِنَ آدمُ حُزْناً شَـديداً على هابيلَ .. ولكـنَّ اللَّه عوَّضـه عنه، فرزقَه الكثيرَ من البنينِ والبناتِ، الذين تزوَّجُوا، وأنجبُوا أبناءً وأحفـاداً ، وكثر الأبنـاءُ، و الأحفادُ، وأبناءُ الأحـفادِ من حَوْلِ آدَم الذى عاشَ بقـدْرَةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حتَّى رأى أبناءَه، و أحفادَه ينتشرونَ فى الأرْضِ من حوْلِه ..

عـاشَ آدمُ ألْفَ عامٍ ، ولمـا حضـرتْهُ الوفاةُ جـمعَ أبناءَه، وأوْصَاهُمْ أنْ يَعْبُدوا اللَّهَ، ولايُشْـرِكُوا به شيـئاً، وأن يُقيـمُوا الصَّلاة، والعباداتِ كما علمها لهم، ثُمَّ قبضَ اللَّه رُوُحْهَ .

تُوفِّـيَ آدمُ .. ومرتْ سنواتٌ وسنواتٌ .. وانتـشرَ أبناؤه فى الأرْضِ، وتكوَّنَتْ منهمْ قـبـائلُ، وجـماعـاتٌ، وأرسلَ إليهم اللَّه سُبحانه وتعالى أنبـياءَ كثيرين لا يعلمُ عددهم إلا اللَّهُ عَزَّ وجلَّ، منهم نبىُّ اللَّه شيثُ، ونبىُّ اللَّهِ إدريسُ .. حتَّى جاءَ زمنُ نوحٍ عليهِ السَّلامُ .